

من تاريخ الاسلام في الهند

دولة هندية تدعي وراثته الخلافة الاسلامية

■ بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار

◆ مقدمة:

اشاء زيارتي الاسبوعية لمكتبة جامعة كمبرج، وقع في يدي كتاب بعنوان: «الهند كما رآها أمير خسرو» وهو باللغة الانجليزية، نشر في الهند سنة ١٩٨١، من قبل مؤسسة «نشر الأبحاث التاريخية الهندية للأمير خسرو» وهو مواطن تركي المولد عربي الاصل (انظر الحاشية ١٩ من ص ٣١ من الكتاب المشار اليه، وقد تتلمذ على بعض شيوخ الصوفية، عندما هاجر اهله الى الهند في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) في ايام سلطاتها «شمس الدين التمش» وذلك بسبب الغزو المغولي لبلدان الخلافة العباسية، اسوة بكثيرين غيرهم من الأدباء وأرباب السياسة.

الكتاب سابق الذكر ص ١٢ حاشية ١٢).

وفي هذا الجو ولد أمير خسرو سنة ٦٥١هـ / ١٢٥٢م، وقد تتلمذ على علماء الهند وأدبائها، وقد فقد والده وهو في سن الثامنة، ولكنه استمر في الدراسة على

وقد لقي هؤلاء المهاجرون كل ترحيب من الحكام المسلمين في الهند، ولا سيما من سلطاتها، حتى اصبحت عاصمتها «دلهي» وكأنها بغداد او بخارى على حد قول مؤلف الكتاب المشار اليه (انظر

فيروز خلجي، وفي ظله أصبح أمير خسرو شاعر البلاط، وأثناء توليه هذا المنصب نظم ما يسمى «مفتاح الفتوح» (ص ٧)، وعلى أي حال فإن ما نظمه من شعر كان يتركز على «الإنسانية والوطنية» مما لا يوجد في الشعر الفارسي لدى غيره.

وعندما تولى السلطنة «علاء الدين خلجي» سنة ٦٩٥ هـ / ١٢٩٦ م، هنأه أمير خسرو، إذ كان في معيته، وقد عينه بوظيفة تسمى «مشرف دار» ولعلها وظيفة الإشراف على مكتب السلطان، ثم تولى السلطنة «قطب الدين مبارك شاه» وقد استمر أمير خسرو في مركزه كشاعر البلاط، ونظم ما يسمى «المثنوي» وقد سماه «سلطان نامه» ولكن قطب الدين اغتيل بعد سنتين، وتولى السلطنة «غياث الدين تغلق شاه» الذي عرّف بالعدل والتقوى، فأحسن معاملة أمير خسرو (ص ٨).

ولكن السلطان قد توفي سنة ٧٢٤ هـ / ١٣٢٣ م، وتولى السلطنة ابنه المسمى «محمد طفلق» غير أن أمير خسرو توفي هو الآخر في سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م (ص ٨-٩)، وقد ترك وراءه ثروة أدبية ثمينة، كتباً تحمل كلها عناوين عربية، مثل «غرة الكمال، ونهاية الكمال، ومفتاح الفتوح»

بعض شيوخ الهند ومنهم «نظام الدين أولياء» في «خانقاه الصوفية» التابع له، وقد أعجب بذكائه فمنحه كل الاهتمام، واستمرت علاقة المريد بشيخه نحو خمسين سنة، أي ما دام في الحياة الدنيا (ص ٢-٣) من الكتاب المشار إليه.

وقام برعايته جده لأمه، عندما فقد والده وأتيحت له الفرصة لدراسة اللغة الفارسية وآدابها فأقتناها وصار ينظم الشعر بها، مما فتح له المجال لينضم إلى حاشية سلطان الهند وهو في سن العشرين (ص ٤)، وصار في معية ابنه الأكبر الذي كان في غاية الثقافة وتذوق الشعر، مما وثق العلاقة بينهما، وقد أتيحت الفرصة له أن يبلغ درجة عالية وسمعة أثيرة (ص ٤-٥).

ولكن الأمير قتل في حربه ضد المغول، كما توفي السلطان نفسه، ثم سنحت له الفرصة لينضم إلى معية السلطان «كيقباه» نفسه، وإن يكلف نظم «المثنوي» بمناسبة مرور مدة طويلة على تولي السلطان، وقد تمكن من نظم ما سمي «قران السعدين» في سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٨٢ م، مما منحه الفرصة في ترسيخ مكانته في الحاشية الملكية (ص ٦).

وبعد أن تولى السلطنة «جلال الدين

ويرى مؤلف هذا الكتاب، بأن امير خسرو كان وراء هذا القرار، ويقول عنه بأنه اعظم مفكر في زمانه، وأنه رأى ان الهند تستحق تولي الخلافة، وهذا واضح من اطلاق لقب «خليفة وقطب الزمن، وقطب الفلك» على السلطان مبارك شاه، وتكرار ذكر هذه الألقاب بالنسبة له، بل اطلق عليه لقب «خليفة وأنه قطب الزمن وقطب الفلك».

وتكرار هذه الألقاب عليه، وأنه ظل الله في ارضه، وأنه ملك العالم الاسلامي، كما ان الملك الهندي اطلق على القلمة التي بناها في نيودلهي، اسم «دار الخلافة»، وكان وراء هذه الأفكار امير خسرو وهو الذي روجها (ص ١٢٠-١٢١).

ونظم في ذلك شعراً مفاده «بأن بغداد عارضت هذا الاعلان، ومهما يكن الحال، فإن مركز العالم الاسلامي كله، لا يمكن ان يكون هناك في بغداد ولا في مصر، بل دار الخلافة ينبغي ان تكون في «دلهي» عقب سقوطها في بغداد، ذلك بعد مقتل الخليفة المستنصر (آخر الخلفاء العباسيين ببغداد).

وعندها استقل سلطان المماليك «الظاهر» ببلاد مصر والشام في سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦١م، وفي هذه السنة تحت

وغيرها مما يصور الحياة في سلطنة الهند في ايامه، بل ان احدها كان بعنوان «غزليات» وآخر باسم «خزائن الفتوح» وثالث سماه «الخالق الباري».. وهكذا (ص ١٦-١٧).

وقد صنف أحد الأدباء كتاباً عن حياته باللغة الانجليزية بعنوان «حياة امير خسرو ومؤلفاته» بقلم محمد حيدر مرزة (ص ١٩)، اما بالنسبة لمؤلفاته، فينسب له بعض المؤلفين (٩٩) مؤلفاً، ولكن ما تم تحقيقه منها هي (٢٠) مؤلفاً، بما فيها من مؤلفات بلغة فارسية وأخرى بالأردو (ص ٢٠-٢١).

♦ موقف سلطنة الهند من الخلافة الاسلامية:

من المعروف بأن سلطان الهند المسمى «قطب الدين مبارك شاه الخلجي» سالف الذكر الذي تولى العرش في دلهي سنة ٧١٦هـ / ١٢١٦م، كان يعترف بالخلافة ولكنه سحب تبعيته الشكلية للخلافة التي سقطت في بغداد سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م، وأسقط من خطبة الجمعة ذكر الخليفة ومن ذكره في النقود، وأعلن الخلافة لنفسه وان دلهي هي عاصمة الخلافة،

(انظر: Edward Thomas: The Chroicals of Pathon Kings of Delhi (London 1871) P179-181).

لذلك فهي مهددة بالفيضان -على حد قول أمير خسرو- الذي نفى صلاح اي من مدن خراسان او خوارزم او تبريز او بخارى لهذه المهمة، مؤكداً انفراد دلهي بصلاحياتها لهذه المهمة، كما ان العملة «اي النقود» التي سكها مبارك شاه هي التي تصلح لتكون عملة دار الخلافة وتحظى برضى الله سبحانه وتعالى، وتحظى بتأييد علماء المسلمين في الهند -على حد قوله (ص ١٢٠-١٢٤).

وهكذا يرفض الامير خسرو صلاح اية بقعة اخرى غير الهند، لتكون داراً للخلافة الاسلامية، ولكننا لا نعرف رأيه في انتقال دار الخلافة من القاهرة الى اسطنبول سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م، واستمرارها هناك حتى ألفاها «اتاتورك» في سنة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م، اذ تم ذلك بعد وفاته، ومنذ ذلك التاريخ لم يوفق المسلمون الى اعادتها الى الوجود.

◆ مؤلفات أمير خسرو:

لقد حرص مؤلفو الكتاب الذي بدأنا بذكره في بداية هذا المقال، حرصوا على احصاء مؤلفات «أمير خسرو» التي تم نشرها حتى الآن وقد جاوزت (٣٠) مؤلفاً، وقد ذكروها بعناوينها وتواريخ نشرها

بيعة «الحاكم بأمر الله» العباسي، وهو الذي هرب من بغداد عقب الغزو المغولي، وقد تلقاه السلطان الظاهر، وبايعه في ٢ محرم ٦٦٠هـ، وتابعه الناس (انظر كتاب السلوك- للمقريزي، وكتاب الفهر لابن حجر العسقلاني).

واستمرت الخلافة العباسية في القاهرة حتى سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م، حتى الفتح العثماني لمصر، وعندها انتقلت الخلافة من الخليفة العباسي الى السلطان العثماني، واستمرت كذلك حتى ألفاها «أتاتورك» في سنة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م، ولكن تلك الفكرة كانت مقبولة في اول الأمر من قبل حكام الهند، اي بعد سقوط الخلافة في بغداد، حيث استمر الحكام الهنود يعترفون بالخلافة البغدادية رغم زوالها، حتى تولى الحكم فيها علاء الدين الخلجي المتوفى سنة ٧١٦هـ / ١٣١٦م، وكان حاكماً لإقليم «بالبان» حيث يقول أمير خسرو: ان حكومة الهند هي اولى بوراثة الخلافة، وخاصة تلك التي وجدت في مصر (ص ١٢٢-١٢٣).

كما يقول: ان بغداد لم تعد حية لتقوم بهذه المهمة كما ان «دجلة» يقسمها الى جانبين مما يعرقل حركة أهلها، وكذلك بالنسبة للقاهرة حيث يخرقها «النيل»

♦ المصادر:

- ١- معجم المؤلفين لكحالة، ج ١٣ ص ٧.
- ٢- روضات الجنان للخوانساري، ج ١/٢٢٣.
- ٣- كشف الظنون، لحاجي خليفة، ج ١/١٤٢.
- ٤- وله سيرة مفصلة باللغة التركية بالحروف العربية، في موسوعة عثمانية تسمى «قاسم اعلام» نشرت في استانبول سنة ١٨٩٨م.
- ٥- Mohammed wahid Mirza, The Life and Works of Amir Khusrau, Calcutta, 1935.
- ٦- Edward Thomas: The Chroicals of Pathon Kings of Delhi (London 1871).
- ٧- Amir Khusrau, Nihayat Ul- Kemal, Delhi, 1913.
- ٨- R. Nath And Faiyaz Gwaliari, Amir Khusrau, Jaipur, India 1933.

(ص ١٢٧-١٢٨) وهي باللغة الهندية «اوردو»، كما احصوا المؤلفات باللغة الفارسية، والتي لها صلة بحياة خسرو، وهي (١٦) مؤلفاً (ص ١٢٨-١٢٩).

اما المؤلفات باللغة الانجليزية الحديثة فقد بلغت (١٦) مقالاً علاوة على (٢٧) مقالة اخرى بالانجليزية رتبت بحسب تواريخ نشرها (ص ١٣٠-١٣٢) وهكذا فإن أمير خسرو علاوة على نشاطه في التأليف فقد حظي باهتمام المؤلفين، وخاصة الاجانب الذين كتبوا عنه عشرات المقالات، بل ان بعضهم صنفوا كتباً خاصة به.

